الفتح الإسلامي لإقليم برقة: أسبابه ونتائجه

يوسف العقوري

مساعد محاضر، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة بنغازي.

المستخلص:

تُعنى هذه المقالة بدراسة تاريخ الفتح الإسلامي لإقليم برقة على يد القائد عمرو بن العاص، حيث تبدأ بالسرد التاريخي للتعريف بالإقليم وطبيعة الأوضاع فيه قبل الفتح الإسلامي، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى ذلك الفتح، والعوامل المساعدة لسهولة دخول الفاتحين المسلمين للإقليم، والآثار والنتائج المترتبة على ذلك.

الكلمات المفتاحية: إقليم برقة: الفتح الإسلامي–التاريخ البيزنطي لإقليم برقة – التاريخ الإسلامي لإقليم برقة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فبعد أن انتهى المسلمون من فتح البلاد المصرية، رأوا أنه من الضرورة أن يواصلوا عملية الفتوحات غربا؛ أي نحو إقليم **برقة**، الذي شهد ظهور عدة مدن عريقة، وهي التي أسسها الإغريق، وهذه المدن: هي **قوريني (شحات)**، و**توخيرا (توكرة)**، و**برقة (المرج)**، و**طلميثة**، و**يوسبريدس (بنغازي)**، هذه المدن عرفت باسم **بنطابلس** أي المدن الخمس، وهذا ما أطلقه المسلمون الفاتحون على المناطق الواقعة ضمن نطاق إقليم **برقة**.

وهذا الإقليم الذي تميز بتنوع مناخه وتضاريسه، كان على المسلمين فتحه والسيطرة عليه، خاصة وأن الإقليم كان يعاني من سوء أحوال سكانه في ظل السيطرة والهيمنة البيزنطية، التي انتهت بعد أن تمكن المسلمون بقيادة الصحابي **عمرو بن العاص** عام (22هـ/ 642 م) من فتح الإقليم، الذي كان وراء فتحه عدة أسباب، وهي: نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وكسر شوكة الاستكبار في الأرض، وتأمين حدود مصر الغربية، والمحافظة على الترابط الاقتصادي بين الإقليم ومصر، وكذلك عدم وجود موانع طبيعية بين المنطقتين، كل ذلك أدى إلى فتح المسلمين للإقليم بشكل سلمي على يد **عمرو بن العاص**، الذي صالح سكانه من أهل الذمة على أن يدفعوا جزية سنوية مقدارها 13.000 دينار.

وبعد انتهاء عملية الفتح حدثت في الإقليم عدة متغيرات على مختلف الأصعدة: سواء على الصعيد الديني، والإداري، والسياسي، والاستراتيجي، والأمني، والعسكري، والاقتصادي، والاجتماعي، كانت نتيجة طبيعية لعملية الفتح الإسلامي للإقليم.

وقد دفعتني لدراسة موضوعه عدة أسباب، أهمها: معرفة أسباب الفتح ونتائجه على مختلف الأصعدة، والعوامل المساعدة عليه، وهذا يساعدنا في تفسير العديد من الأحداث التي شهدها الإقليم بعد نهاية الفتح، ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث، الذي نسعى من خلاله للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- كيف كانت طبيعة الأوضاع في إقليم برقة قبل الفتح الإسلامي؟

2- ما أهم الأسباب التي دعت المسلمين إلى فتح الإقليم؟

3- ما أهم العوامل المساعدة على الفتح؟

4- ما أهم الآثار والنتائج المترتبة على عملية الفتح؟

قد كانت منطقة **بلاد المغرب (شمال أفريقيا)** تتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة للعرب المسلمين إبان عملية الفتوحات الإسلامية، وقد كان على المسلمين فتح بوابتها الشرقية، أي إقليم **برقة**[•]، الذي كان يقع على الطريق الرابط بين **مصر** و**بلاد المغرب**، هذه المنطقة التي كانت غريبة على المسلمين (الزاوي، 1968، ص56)، وقبل الخوض في حديث عن فتحه، يتطلب الأمر إعطاء لمحة جغرافية وتاريخية عن الإقليم؛ لتوضيح الموقع الجغرافي وطبيعة مناخه، وكذلك أهم الأحداث التاريخية التي شهدها على مر العصور التاريخية، وهو ما سيُعرَض على النحو الآتي:

أولا: لمحة تاريخية وجغرافية عن إقليم برقة:

1- تأسيس مدينة برقة وشقيقاتها:

عُرفت المنطقة الجغرافية الواقعة بين **طرابلس** غربا –وبالتحديد في المنطقة المعروفة باسم **المقطاع**، التي بنى فيها **الإيطاليون** القوس عام 1929م (Georg، 1968، 136-137 pp)، أو عند المنطقة التي بُني فيها ضريح **الأخوين فيلاني** (Philaen) (سالم، 2008، ص 20)- و**عقبة السلوم** شرقا، باسم **برقة** (الزاوي، 1968، ص56).

• **برقة:** اسم صقع كبير، يشمل المدن التي بين **الإسكندرية وأفريقية**، واسم مدينتها **انطابلس**، وتفسيره الخمس المدن. أنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (1977م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 388/1.

ويعود لفظ **برقة** –أيضا– إلى المدينة التي أُسّست خلال النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، وهي مدينة **المرج** الحالية (نصحي، 1970، ص88 ؛ الحسيني، د.ت، ص23) التي قام بإنشائها أخوة حاكم **قوريني**(•) آنذاك (**أركسيلاوس الثاني**) بعد خروجهم عن سلطته (شامو، 1990، ص 177).

خلال العصر البيزنطي تطور لفظ **برقة** ليصبح شاملا لخمس مدن شيدها **الإغريق** في المنطقة، وهي: (Cyreue) وهي حاليا في موضع مدينة **شحات**، و**توخيرا**، وهي **توكرة**، (Hesperidles) وهي التي شيدت في موقع مدينة **بنغازي** الحالية، (Barce) وهي **المرج** الآن، و**طلميثة**، وقد عُرفت **برقة** عند **الرومان** باسم (**بنطابلس**)؛ أي المدن الخمس (البكري، [د.ت]، ص 47) (Pentapolis). وعندما تمكن المسلمون من فتح المنطقة عمموا اسم **برقة** على كل المنطقة التي تشمل نطاق المدن الخمس، وبالتالي أصبح مرادفًا **لبنطابلس** (سالم، 2008، ص20 ؛ عباس، 1967، ص ص 4،12).

2– جغرافية إقليم برقة :

يتنوع الغطاء الجغرافي لإقليم **برقة**، فهناك السهل الساحلي، وهو الذي يشغل المنطقة الواقعة شرقا من **الهضبة القورينائية** حتى مدينة **سرت** غربا، ويوجد بهذا السهل مجموعة من البحيرات، أشهرها: بحيرة **بودزيرة**، وبحيرة **عين زيانة**، وعدد من السبخات، منها على سبيل المثال: تلك التي تقع جنوب المدينة القديمة (**يوسبريدس**) وشمالها، ويوجد بهذا السهل أراضٍ خصبة، ومراعٍ للأغنام والخيول والماشية، بالإضافة إلى أنه كان يحوي مزارع للشعير والقمح، هذا وقد أنشئت على طول هذا السهل مجموعة من الموانئ كانت ذات أهمية، من بينها على سبيل المثال: **توخيرا**، و**طلميثة**، و**أبولونيا** وغيرها.

ومن ضمن السمات البارزة –أيضا– التي عرفتها جغرافية الإقليم وجود **الهضبة القورينائية**، التي تشغل المنطقة الواقعة بين **سهل يوسبريدس** غربا إلى **خليج بمبا** شرقا، وجنوبا من الأطراف الشمالية من الصحراء وحتى **السهل الساحلي** شمالا، وتحوي هذه المنطقة عددًا من التلال والهضاب، حيث يبلغ أعلى مستوى لهذه الهضبة تقريبًا 882 مترًا، وبالتحديد في **سيدي الحمري** شرق **أسلنطة** (سالم، 1967، ص ص 21،23)، أما فيما يخص شرق **قورينائية** فتوجد هضبة أخرى، عرفت باسم (**مرمريكا**) التي تقع في **البطنان** حاليا، ويقدر علوها تقريبًا بـ 200 متر.

• **قوريني** :هي مدينة **شحات** الحالية أسسها **الإغريق** في عام 63 ق.م، ومؤسسها هو **باتوس الأول** الذي أصبح أول حاكم لها. أنظر: البرغوثي، عبداللطيف (د.ت)، ليبيا في أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات تامغناست، 160/1

أما المكون الثالث لجغرافية الإقليم فإنه يتمثل في الصحراء، فهي تقع جنوب النصتين السالفتي الذكر، وتنعدم سبل الحياة في هذه الصحراء، باستثناء عدد من الواحات، ومن أشهرها واحتا: أوجلة، وسيوة، وأخيرا فيما يخص جغرافية الإقليم تنبغي الإشارة إلى مناخه الذي يشبه مناخه الآن، فقد كانت تهب عليه الرياح الغربية الممطرة خلال موسم الشتاء، وصيفا كانت تهب عليه الرياح الجنوبية، وهي التي تؤدي إلى ارتفاع درجات الحرارة، وكذلك إثارة الأتربة، وهذا النوع من الريح هو الذي يعرف حاليا "بالقبلي" (سالم، 1967، ص ص24–26).

3– أحوال إقليم برقة قبيل الفتح الإسلامي:

عند التطرق لأحوال إقليم برقة إبان خضوعه للحكم البيزنطي، يستوجب الأمر الإشارة إلى ما ذكره **سيتريوس**(•) في رسائله التاريخية المتميزة بالجودة العالية، التي وصف في إحداها سوء حال أوضاعه الاقتصادية، وتدهور حالة أراضيه التي تحولت –بحسب قوله– إلى أراضٍ صحراوية؛ بسبب حصوله على مساعدات مالية بسيطة من قبل الإمبراطورية، التي كانت تستغله في ترميم الأسوار والحصون، وذلك من أجل التصدي لغزوات البربر المتواصلة، ومن بين هذه الترميمات تلك التي قام بها الإمبراطور **جستنيان** (Justnian) (527–565 م) (سالم، 1981م، 143/2)، وذلك عندما عقد العزم على الزحف على الجزء الغربي من أراضي ليبيا، الذي كان يعرف بإقليم المدن الثلاث الخاضع آنذاك لسيطرة **الوندال** (بازامة، 1981، 18/8–19 ؛ عبيد، 2010م، ص43).

قد كان إقليم **برقة** –الذي كان أغلب سكانه من قبيلة **لواته** (ابن خلدون، 2000، 573/2) التي كانت تملك ثقلا كبيرا في المنطقة–تابعا لحاكم **الإسكندرية**، وقد كان الضعف وعدم الاستقرار واضحين على الأوضاع العامة فيه؛ والسبب في ذلك هو عدم قدرة الإمبراطورية البيزنطية على الإنفاق على زعماء قبائل البربر، الذين كانت تعتمد عليهم من أجل استمرار تبعية الإقليم لها، كما أصبحت عاجزة عن توفير المال من أجل تجنيد أهالي البلاد الأصليين، وقد استغلت القبائل الكثيرة العدد هذا الوضع، ومن بينها على سبيل المثال قبيلة **لواته**، حيث سعت إلى الحصول على شكل من أشكال الاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية، وهذا أدى إلى تركيز السيادة البيزنطية على الشريط الساحلي للإقليم، وهذا الوضع ساعد القبائل الكبيرة على

• أحد أقطاب الأدب اليوناني المولود عام 370، والمتوفى عام 415. أنظر: بازامة، محمد مصطفى (د.ت)، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، مؤسسة ناصر للثقافة ،12/8.

تشكيل وحدات من سكان البلاد الأصليين، بالإضافة إلى حصولهم على نوع من الاستقلالية الذي جعلها تتوقف عن تأدية ما عليها من ضرائب للإمبراطورية البيزنطية (عباس، 1967، ص ص12–13).

ومن أسباب ازدياد اضطراب الإقليم وسوء أوضاعه، حدوث بعض الكوارث الطبيعية، مثل: هجمات الجراد من حين إلى آخر، وحدوث هزات أرضية، وانتشار الفقر (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص28)، وفي واقع الأمر أن الصراع المتواصل بين سكان الإقليم –وعلى رأسهم قبيلة **لواتة** والإمبراطورية البيزنطية– أدى في نهاية المطاف إلى عدم حدوث مقاومة شديدة من قبل سكان الإقليم في أثناء الفتح الإسلامي له، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رغبة الأهالي في التحرر من سيطرة البيزنطيين (عباس، 1967، ص ص14–15).

إبان الحكم البيزنطي –وبالتحديد خلال مدة حكم الإمبراطور **انسطاسيوس** (491–518) لإقليم **برقة**– قسم الإقليم إلى منطقتين: الأولى تمتد مابين **درنة والإسكندرية**، وقد كانت من الناحية الإدارية تابعة **لمصر**، والثانية وهي المعروفة **بالبنطابولس**، كانت تتبع نائب الإمبراطور البيزنطي الموجود في أيالة الشرق (coriens) الذي كان يدير أملاك الإمبراطورية في: **مصر وآسيا**، وخلال مدة حكم الإمبراطور **جستنيان** حاكم المنطقة الأولى كان يملك السلطتين العسكرية والمدنية؛ وبذلك يكون تابعا مباشرة لحكم أيالة الشرق وللإمبراطور البيزنطي نفسه (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص ص 27–28).

ثانيا: أسباب الفتح الإسلامي لإقليم برقة:

من الطبيعي أن يكون وراء فتح إقليم **برقة** عدة أسباب، ومن أهم الأسباب التي دفعت المسلمين الفاتحين إلى هذه الخطوة ما يأتي:

1. السبب الديني:

يكمن الهدف الأسمى لعملية الفتوحات الإسلامية في أي رقعة من الأرض –بما في ذلك **برقة**– في نشر الإسلام والعقيدة السمحة، وليس الهدف السيطرة والهيمنة على الشعوب، ولا أدل على ذلك سوى أن المسلمين يضعون أنفسهم في درجة متساوية مع سكان المناطق المفتوحة حال اعتناقهم للدين الإسلامي، وقد كان الحافز الأول للمسلمين في مشاركتهم في عملية الفتح هو نيل الشهادة، وليس الجشع والطمع في

الحصول على المكاسب والغنائم (بازامة، 1983، 8/1)، والدليل على ذلك أن المسلمين بقيادة الصحابي **عمر بن العاص** –رضي الله عنه– عندما تمكنوا من فتح إقليم **برقة** لم يفرضوا الجزية على السكان كلهم، بل فُرِضت على الذين لم يدخلوا في الدين الإسلامي، بشرط أن يكونوا من أهل الذمة (اليهود والنصارى)، وحتى هذه الجزية السنوية التي كان مقدارها 13.000 دينار، لم تكن مفروضة إلا على الأشخاص الحالمين فقط (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص40)، وقد سُمح لهم أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في سداد ما عليهم من أموال (البكري، د.ت، ص50).

2. السبب العسكري:

عندما قام المسلمون بفتح **مصر** (20 هـ/40 هـ) كانت المنطقة الواقعة غربها هي إقليم **برقة**، وقد كان هذا الإقليم خاضع لحكم الإمبراطورية البيزنطية، ولم تكن فيها قوة بيزنطية كافية لمنع المسلمين الفاتحين من التقدم لضمه إلى سيادة الدولة الإسلامية، انطلاقا من هذا رأى القائد **عمرو بن العاص** الفرصة مواتية للزحف على الإقليم؛ وذلك تفاديا لأي هجوم قد تقوم به القوات البيزنطية على **مصر**، وهذا يُظهر الكفاءة العسكرية والحنكة السياسية التي كان يملكها **عمرو بن العاص** (بازامة، د.ت، ص77).

كذلك كان لابد من الزحف على إقليم برقة؛ لأن العدو قد يُنظم صفوفه فيه، خاصة أن بعض جنوده قد تراجعوا إلى الإقليم، وبالتالي كانت الظروف العسكرية تستوجب القضاء عليهم هناك قبل أن يستجمعوا قواهم، والجدير بالذكر أن برقة تميزت من الناحية العسكرية في التاريخ البيزنطي بأمرين مهمين هما: أنها الموطن الذي ظهر منه أحد الأباطرة ألا وهو **هرقل** (Hercules) (610–641 م)، كذلك هي التي شكلت القوة ووجهتها إلى **مصر** بقيادة **هرقل** نفسه، فتمكنت من الانتصار والقضاء على جيش **فوكاس** (Phocas) هناك، الذي اغتصب حكم الإمبراطورية البيزنطية عام 206م، وقد كان ذلك قبل الفتح الإسلامي بعدة سنوات (بازامة، د.ت، ص78 ؛ المزيني، 1987، ص24 ؛ عبيد، 2010، ص65).

خلاصة القول في هذا الجانب أن الاسترسال في فتح إقليم **برقة** عقب السيطرة مباشرة على **مصر**؛ إنما كان من أجل تأمين حدودها وأراضيها (فرج، 1960، ص261؛ المزيني، 1987، ص 24،26)، بالإضافة إلى أن مواصلة القضاء على الوجود البيزنطي لم تنته بالسيطرة على مدينة **الإسكندرية** (عباس، 1967، ص15).

3. السبب الاقتصادي:

يتضح دور العامل الاقتصادي في فتح إقليم **برقة** في وجود علاقة وطيدة تربطه **بمصر** من الناحية الاقتصادية، وكذلك وجود التبادل التجاري بين المنطقتين في الملابس والمواد الغذائية بما في ذلك اللحوم، وفي واقع الأمر كان لابد للمسلمين الفاتحين عندما فتحوا **مصر** أن يقوموا بالاستفادة من ثروات إقليم **برقة**؛ من أجل تسخيرها في المحافظة على الوضع المادي والاقتصادي للمناطق التي فُتِحت فيما سبق (بازامة، د.ت، ص78).

4. السبب الجغرافي:

من الناحية الجغرافية فإن أراضي **برقة** مرتبطة بشكل مباشر بأراضي **مصر**، وذلك مرجعه عدم وجود موانع وعوائق طبيعية تفصل بين المنطقتين، فالفصل بين المنطقتين عبارة عن أراضٍ شبه صحراوية، وهي عند سكان البلاد العربية لا تعتبر عائقا من ناحية المواصلات، وهذا ما جعل الصحابي **عمرو بن العاص** يعد أراضي **برقة** تابعة للبلاد المصرية (بازامة، د.ت، ص78).

ثالثا: أحداث فتح برقة:

عقب تمكن الصحابي **عمرو بن العاص** من ضم البلاد المصرية إلى رقعة الدولة الإسلامية (الزاوي، 1977، ص ص30–31)، رأى أنه من الضروري قبل تحريك الجيش الإسلامي نحو إقليم **برقة**، أن يقوم بتكليف **عقبة بن نافع** بالتوجه نحو المنطقة؛ من أجل جمع المعلومات عنها، وهو ما يعرف حاليا بالاستطلاع والمخابرة، وذلك فيما يبدو قد كان في عام 21 هـ، وقد شرع **عمرو** في تجهيز جيشه في **مصر** إلى حين انتهاء **عقبة** من مهمته (المزيني، 1987، ص27).

عندما رجع **عقبة** إلى **مصر** تحرك **عمرو بن العاص** بجيشه ومعه عقبة نحو **إقليم برقة** (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص39) عام 22هـ (ابن الأثير، 1987، 428/2)، متخذا من الشريط الساحلي طريقا له، وقد تمكن من فتح المناطق التي مر بها دون قتال، منها على سبيل المثال: **طبرق**، و**سوسة**، و**درنة**، و**طلميثة**، وعندما بلغ مدينة **برقة** استطاع السيطرة عليها بشكل سلمي، فقام **عمرو** بعدها بالاتفاق مع سكانها على أن يؤدّوا مبلغا من المال سنويا مقداره 13.000 دينار، فُرضت على سكان الإقليم الحالمين من أهل الذمة، ممن لم يعتنقوا الدين الإسلامي، وعقب فراغ **عمرو بن العاص** من ضم مدينة **برقة** إلى أملاك الدولة الإسلامية، اتجه غربا متخذا من الخط الساحلي طريقا له، فتمكن من فتح عدة مدن في أثناء زحفه ومن بينها: **توكرة**، و**برينيشي**؛ أي مدينة بنغازي، وقد قام **عمرو بن العاص** باتخاذ خطوة احترازية بعد سيطرته

على هذه المواضع ألا وهي تحطيم أسوارها؛ وذلك لقطع الطريق أمام سكانها في حال محاولتهم التحصن بها ومواجهة المسلمين من خلفها، وفي عام (22 هـ–642 هـ) استطاع المسلمون بقيادة **عمرو بن العاص** بلوغ مدينة **أجدابيا** التي سيطر عليها سلميا دون قتال، مقابل أن يؤدي أهلها مبلغا من المال قدر بـ5000 دينار، هذا وقد اعتنق سكانها الدين الإسلامي في أثناء الفتح (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص ص39–40 ؛ ابن عبد الحكم، د.ت، 1–229).

عندما قرر **عمرو بن العاص** –رضي الله عنه– استكمال فتح باقي الأراضي الواقعة غرب **إقليم برقة** رأى أنه من الضرورة أن يقوم بفتح **منطقة الواحات** الداخلية، التي ينتمي سكانها إلى قبائل: **نفوسة**، و**لواته**، و**هوارة**؛ وذلك تفاديا لأي هجوم يأتي من هؤلاء على الجيش الإسلامي المتجه غربا، وانطلاقا من ذلك اقتضت الظروف أن ينقسم الجيش إلى قسمين: الأول بقيادة **عمرو بن العاص** يتجه غربا متخذا الطريق الساحلي مسلكا له، والثاني يتجه جنوبا نحو **الواحات** ويكون تحت قيادة **عقبة بن نافع الفهري**، الذي تمكن في مدة وجيزة من فتح **الواحات** الداخلية إلى أن وصل إلى **زويلة**، ولم تواجه المسلمين في أثناء فتح هذه المناطق أيُّ صعوبات تذكر، وبعد ذلك أبلغ **عمرو** الخليفة الفاروق **عمر بن الخطاب** (13–23 هـ /634–642 م) بأن المنطقة الواقعة بين **برقة وزويلة** كلها باتت خاضعة للمسلمين، وأن الذمي منهم أقر بدفع الجزية، والمسلم أدى ما عليه من صدقة، كانت تنفق على الفقراء، فيما تنقل الجزية إلى **مصر**، وهناك مساحات من الأراضي أُخذت من الذين عُقِدت المصالحة معهم بحسب ما اتفق عليه معهم، أما بخصوص المسلمين فأُخِذ ما مساحته النصف أو العشر من أراضيهم (فرج، 1960، ص198/1، 205).

وبنهاية التطرق لموضوع عمليات الفتح يستوجب الأمر عرض أهم العوامل التي ساعدت المسلمين على فتح **إقليم برقة**، التي يكمن حصرها في النقاط الآتية:

أ– رغبة **البربر** في **برقة** في الحياة بِحُرية ومساواة في ظل الدولة الإسلامية.

ب– الحنكة السياسية والعسكرية التي كان يتمتع بها **عمرو بن العاص**، وذلك عندما قام بتدمير أسوار كل مدينة فتحها؛ وذلك من أجل قطع الطريق أمام أهلها إذا ما حاولوا الانقلاب على المسلمين ومواجهتهم مرة أخرى (فرج، 1960، ص265)، كذلك تتضح في الضبط والربط بحسب الأوامر، ابتداء بالخليفة ثم قائد الفتح ثم الجند (بازامة، د.ت، ص75).

ج– عدم قدرة **البربر** على مواجهة الجيش الإسلامي، وذلك مرجعه عديد المعارك التي خاضوها في مواجهة الجيش البيزنطي في المنطقة، مما سبب في إضعاف قوتهم وإرهاقها.

د- رغبة أهالي **برقة** في التحرر من السيادة البيزنطية التي كانت تجبرهم على دفع المكوس والضرائب، وهذا ما سهل على المسلمين فتح الإقليم دون عناء (المزيني، 1987، ص26).

هـ- الحماس الشديد للفتح الذي كان يمتاز به المسلمون الفاتحون آنذاك، الذي لم يكن سببه الطمع والكسب المادي، وإنما الرغبة في نيل الشهادة، ونصرة الدين الإسلامي الحنيف (بازامة، د.ت، ص75).

و- إرسال **عمرو بن العاص لعقبة بن نافع** ومعه بعض الرجال؛ من أجل جمع المعلومات عن المنطقة، وهو ما يعرف حاليا بالاستطلاع (فرج، 1960، ص261).

ز- عدم اعتناق **البربر** للديانة النصرانية على الرغم من الجهود التي بذلها الإمبراطور البيزنطي **جستنيان** (Cosentino، 2008، pp 285-286).

رابعا: نتائج الفتح:

من الطبيعي أن يترتب على عملية الفتح الإسلامي **لإقليم برقة** حدوث عدة نتائج على مختلف الأصعدة، وهذه النتائج تتضح في الآتي:

1) على الصعيد الديني:

بعد الانتهاء عملية الفتح الإسلامي **لإقليم برقة** دخل عدد من سكان الإقليم إلى الدين الإسلامي، وهؤلاء بمجرد اعتناقهم للإسلام أصبحوا يؤدون ما عليهم من صدقة، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها الصحابي **عمرو بن العاص** إلى الخليفة **عمر بن الخطاب**، وقد جرى التطرق إليها فيما سبق (المزيني، 1987، ص 31)، وهذه الصدقات كانت تُوزَّع على الفقراء، وبذلك كسب المسلمون أراضي جديدة وتوسعت رقعة دولتهم، وانضمت إليهم دماء جديدة من **البربر**.

2) على الصعيد الإداري:

من الناحية الإدارية كان **إقليم برقة** بعد نهاية عملية الفتح تابعا **لمصر**، والوالي الذي كان يحكم **مصر** كان –أيضا– يحكم **إقليم برقة**، وهذا كان منذ ولاية **عمرو بن العاص** –رضي الله عنه– على مصر (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص76)، الذي جعل من **عقبة بن نافع** واليا على المنطقة (Lunghi, 2004, p123)، وظل الأمر على حاله في أثناء مدة ولاية **عبد الله بن سعد بن أبي السرح** (25–35هـ / 642–655 م) إبان خلافة **عثمان** –رضي الله عنه– (23 هـ–35 هـ/642م –655 م) بل وحتى المدة التي بعده (البرغوثي،

د.ت، تاريخ ليبيا، ص 76 ؛ القرماني، 1992م، 1/301،291).

3) على الصعيد السياسي:

من الطبيعي أن تزداد رقعة الدولة الإسلامية ومساحتها بعد فتح **إقليم برقة**، كما أن سكان الإقليم كان أغلبهم من قبيلة **لواتة** ممن تحصلوا على حريتهم بعد الفتح، التي كانت مفقودة زمن هيمنة البيزنطيين واستبدادهم، وعلى الرغم من استخدام البيزنطيين القوة في سبيل بسط سيطرتهم على الإقليم وإخضاع أهله، فإنهم لم يتمكنوا من فرض نفوذ الإمبراطورية البيزنطية على الإقليم، وفي واقع الأمر أن حصولهم على حريتهم بعد الفتح لم يدفعهم إلى القيام بأي ثورة ضد المسلمين فيما بعد، ولم ينقضوا العهد معهم (زيتون، 1990، ص9).

4) على الصعيد الاستراتيجي والأمني والعسكري:

من المعروف تاريخيا أن فتح **إقليم برقة** كان ضروريا من الناحية الاستراتيجية والأمنية **لمصر**؛ ذلك كون فتحه يؤمن مناطقها الغربية، هذا بالإضافة إلى أن **إقليم برقة** كان يعتبر امتدادًا للأراضي المصرية، وانطلاقا من كل ذلك سعى المسلمون منذ عام (21هـ /641 م) إلى السيطرة عليه، وهذا ما حدث بالفعل تحت قيادة الصحابي **عمرو بن العاص** رضي الله عنه، لتأمين الأراضي الغربية للبلاد المصرية وفق سياسة واستراتيجية الاسترسال في الفتح (البرغوثي، د.ت، تاريخ ليبيا، ص ص39–40)، كما أن المسلمين قد جعلوا من مدينة **برقة** قاعدة لمواصلة زحفهم نحو بلاد **المغرب** الإسلامي (الحسيني، د.ت، ص23).

5) على الصعيد الاقتصادي:

تتضح الآثار الاقتصادية للفتح الإسلامي **لإقليم برقة** في أن أحوال الإقليم الاقتصادية عقب افتتاحه قد شهدت تحسنا كبيرا، وذلك مرجعه توفر مقومات الازدهار الاقتصادي، وهي: الاستقرار، ويضاف إلى ذلك الأمن، وممارسة السكان لأعمالهم، وهذا أدى إلى حدوث تطور اقتصادي في الإقليم أواخر القرن الأول للهجرة (المزيني، 1987، ص199)، كذلك من ضمن النتائج الاقتصادية المترتبة على فتح **إقليم برقة** حصول خزانة الدولة الإسلامية على مبلغ وقدره 13.000 دينار كل عام في شكل جزية (بازامة، د.ت، ص108) وهي التي فرضت على أهل الذمة كما ذكرنا سابقا.

6) على الصعيد الاجتماعي:

عند انتهاء عملية فتح **إقليم برقة** حدث تفاهم وتقارب وحسن تعامل بين الأهالي والمسلمين الفاتحين، حيث إنَّ الطرف الأول لم يكن يرى المسلمين على أنهم غرباء، بل على العكس من ذلك كانوا يرون أنهم من

بني جلدتهم، يختلفون كسابقيهم من الذين وفدوا على الإقليم، ويظهر مدى التوافق بين الطرفين فيما ذكره المؤرخ عن **عمرو بن العاص** الذي قال: " **لولا ما لي بالحجاز لنزلت برقة** "**المرج**" فلا أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها (الحسيني، د.ت، ص 22–23).

الخاتمة:

تطرق هذا البحث لموضوع "الفتح الإسلامي **لإقليم برقة** " أسبابه ونتائجه، حيث تناولت فيه لمحة تاريخية وجغرافية عن الإقليم، وأسباب الفتح الإسلامي، وأحداثه، والعوامل التي ساعدت المسلمين عليه، وأخيرا النتائج والآثار المترتبة عليه.

وقد تمكنت خلال هذا البحث من الوقوف على عدة نتائج مهمة حول هذا الموضوع، وهي على النحو الآتي:

1. سوء أوضاع **إقليم برقة** في ظل حكم الإمبراطورية البيزنطية، وضعف سلطتها فيه، كانت من أهم العوامل التي حفزت المسلمين على فتحه.
2. فتح **برقة** كان ضرورة حتمية آنذاك؛ وذلك لضمان استقرار **مصر**، ولقطع الطريق على البيزنطيين إذا ما حاولوا الهجوم على الحدود الغربية **لمصر**.
3. القيادة الحكيمة والحازمة كانت من أهم العوامل التي ساعدت على فتح **إقليم برقة**، وذلك يتضح جليا في استطلاع أحوال الإقليم قبل فتحه، ومصالحة المسلمين لسكان الإقليم، وهدم أسوار المدن التي فتحت، وذلك خشية تحصن الأعداء فيها.
4. من أهم العوامل التي ساعدت المسلمين الفاتحين على إحداث تغييرات في **إقليم برقة**؛ حدوث نوع من التقارب والانسجام بين المسلمين وسكان البلاد الأصليين.

قائمة المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسين على بن أبي الكرم (1987م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (2000م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ابن عبد الحكم (د.ت)، فتح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (د.ت)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، القاهرة.
- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (د.ت)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.
- القرماني، احمد بن يوسف بن احمد (1992م)، أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت.
- المراكشي، ابن عذاري (1983)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (1977م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- بازامة، محمد مصطفي (د.ت)، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، مؤسسة ناصر للثقافة.
- البرغوثي، عبد اللطيف (د.ت)، ليبيا من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات تامغناست.
- ---------- (د.ت)، تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، دار صادر، بيروت.
- الحسيني، سالم عبد السلام (د.ت)، آثار مدينة قورينة: دليل يتناول تاريخ المدينة ووصف أهم أطلالها، الإدارة العامة للآثار.
- الزاوي، الطاهر احمد (1977م)، معجم البلدان الليبية، دار صادر، بيروت.
- زيتون، محمد محمد (1990م)، المسلمون في المغرب والأندلس.
- سالم، السيد عبد العزيز (1981م)، المغرب الكبير: العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت.
- سالم، محمد أحمد (2008م)، الحياة الدينية والفكرية في قورينائية أثناء العصر الإغريقي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
- شامو، فرانسوا (1990م)، في تاريخ ليبيا القديم: الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
- عباس، إحسان (1967م)، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- عبيد، طه حضر (2010م)، تاريخ الدولة البيزنطية: 324–1453م، دار الفكر، عمان.
- فرج، محمد وزميليه (1960م)، عمرو بن العاص: دراسة مستحدثه لحياته وحروبه، دار الفكر العربي.
- المزيني، صالح مفتاح (1987م)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- نصحي، إبراهيم (1970)، إنشاء قوريني وشقيقاتها، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي.
- Cosentino, Salvatore (2008) storia dell lialia bizantina bononity press, bologna.
- Ostrogosky, georg (1968), storia dell,impero bizantino, einaudi, Milano.
- Lunghi , ravegnani (2004), storia dell,impero bizantino dalla alla decadenza , jouvence, torino.